



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN NAHAR  
Date : 18-1-96  
Photo No. : 216

## الأم الحنون والابناء الضالون

"عندما تعلم ان شركة "بويغ" لم يعد امامها سوى سوقين لتصدير خيراتهما الانشائية، هما مونغ - كونغ ولبنان، تدرك فحوى التحرك الفرنسي الاخير في لبنان". قد يكون في مثل هذا الكلام، الذي يكثر تداوله في بعض الاوساط، مقدار كبير من الصحة. لكنه يحمل بالتأكيد تجاوزاً، بل ظلماً. فعلى اهمية المعطى الاقتصادي بالنسبة لبلد صناعي يجهد كمعظم دول اوروبا، من اجل تصحيح الخلل في ميزانه التجاري، تبدو حثييات سياسة فرنسا حيال لبنان اعقد بكثير مما يقال، عندما تنسب موافقها الى دافع النفعية. وهي، في اي حال، لا تختزل بتممة "الخيانة" التي تساق احياناً ضدها.

ما يفسر بـ "النفعية" هو في الحقيقة واقعية جديدة ليست كلها اقتصادية الطابع، اذ انما لا تتصل فقط بواقع المصالح الفرنسية بل ايضاً بواقع لبنان كما آل بعد ٧٥ سنة على اعلان الجنرال غورو انشاء دولة لبنان الكبير. فالواضح ان فرنسا اخذت تستخلص العبر من تطور الجسم اللبناني اكثر مما فعل العديد من اللبنانيين. اكثر من ذلك، بدأ انما عازمة على توظيف الرصيد المعنوي الكبير المتبقي لهما عند فئات واسعة من اللبنانيين من اجل تعميم هذه العبر المستخلصة من التاريخ الحديث. بتعبير آخر، لا تريد فرنسا ان تظل "الأم الحنون". او انما صارت تعتبر انما لا تكون "الأم الحنون" الا اذا صرحت من اعتبروا انفسهم اولادها،

لأنهم يتعظون فيستعيدون شيئاً من الرشد السياسي المفقود.  
قد يكون هذا هو المعنى الاساسي في الدعوات الفرنسية المتكررة،  
وأخيراً ما جاء في خطاب وزير الخارجية، هيرفي دو شاريت، اول امس  
في الزوق، الى الانخراط في العملية الانتخابية والمشاركة بكثرة فيهما.  
فبالنسبة للفرنسيين، ولكل من ينظر الى المشهد اللبناني بعيداً عن  
المواء، تبقى الديمقراطية المحدودة، بل القاصرة، افضل بما لا يقاس من  
ناب الديمقراطية الكلي الذي قد يؤدي اليه نمج المقاطعة، اذا استمر.  
النية طيبة بلا شك، والسياسة المتبعة صائبة. فلماذا انما هذا الانطباع  
سيء الذي يتركه الاداء الفرنسي عند البعض، وليس فقط عند حزب  
"حباط" المازوني؟ ربما كان مرد ذلك هذا البعد الرمزي الذي يقالي به  
فرنسيون عندما يريدون اظهار صداقتهم للمراجع التي ليست محسوبة  
عليهم تاريخياً؟ او ربما كان في هذه الحميمية التي تطفئ تحديداً على  
علاقة بين الرئيس جاك شيراك والرئيس رفيق الحريري؟ في جميع  
الحوال، من المؤكد ان بعض "الحركات" الفرنسية لم تؤد في الآونة  
اخيرة سوى الى اضعاف صدقية الزمان التاريخي التي يبني عليه الحكم  
شيراكي سياسته اللبنانية. فما المعنى، مثلاً، من منح جائزة لويز ميشال،  
بطلة كومونة باريس واحد ابرز وجوه التراث اليساري في فرنسا، الى  
رئيس الحريري؟ أمن أجل تهنئته على تخلي الحكومة اللبنانية عن اي هم  
اجتماعي؟ وما هو المقصد من تقليد الرئيس نبيه بري وساما فرنكوفونيا  
شحناً؟

يعتقد الفرنسيون، على ما يبدو، ان التأكيد على سيادة لبنان  
استقلاله كاف لجعل ابنائهم الضالين يعودون الى حظيرة الدولة. انه  
تأكيد مفيد، من دون شك، وإن يكن صار يأتي دائماً مقروناً باعتراف  
فرنسي بالطبيعة المميزة للعلاقات بين لبنان وسوريا. لكن الأكثر افادة من  
قد بعض المسافة تجاه سوريا، هو قطعاً اخذ مسافة مماثلة من الطاقم  
الحكم في لبنان. فما يحول اليوم دون انخراط الناس، وليسوا كلهم من  
تسيحيين المحيطين، في عملية بناء الدولة، هو اساساً اداء هذا الطاقم.

سمير قصير